العرب
الإثنين 2021/07/12
السنة 44 العدد 12117

سراب الآمال الدولية في اليمن

صالح البيضاني
صحافي يمني

يذهب المشهد اليمني بشكل عكسي مع الجهود الإقليمية والدولية الرامية لوقف الحرب التي تدخل عامها السابع، حيث يزداد المشهد تعقيدا وتبرز العديد من المعضلات التي تجعل من السلام المأمول سرابا في بلد ينهار فيه كل شيء عدا الأطراف والقوى التي استطاعت أن تستثمر أجواء الحرب والصراع السياسي والتدخلات الإقليمية لمراكمة الثروة والقوة وتعزيز مقومات خوض حروب ضروس قادمة.

قبل عامين تقريبا سألني أحد سفراء الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن عن رؤيتي لنهاية الحرب التي كانت تبدو في ذلك الوقت وشيكة لمن يراقبون التصريحات السياسية الناعمة وبعض أجواء التفاؤل التي كانت تسود بين بعض الأطراف اليمنية، لكنّي صدمت السفير حينها بإجابة مباغتة لم يكن يتوقعها، وهي أن الحرب لم تبدأ في اليمن، فأطراف القوة الحقيقية لم تدخل بعد في اختبار مواجهة فعلية للاستحواذ على نصيب من كعكة اليمن الممزقة، بينما ما تزال تلك القوى والأطراف الرئيسية تنمّي قوتها السياسية والعسكرية والمالية عبر اقتصاد نشط للحرب نشأ في اليمن خلال السنوات الماضية وشهد حالة طفرة هائلة تسببت في ثراء قادة الفصائل السياسية وزعمائها ورفدت قدرات مكوناتهم بأسباب البقاء والاستمرار، وترقب التحولات المحلية والإقليمية والدولية دون عجلة.

> إزاء التشظي الذي تخفيه خارطة اليمن الجيوسياسية يرى البعض أن الآمال الدولية حول تحقيق سلام لا تعدو كونها سرابا سياسيا يترافق مع حالة استعجال وتململ دولي وإقليمي لإغلاق الملف اليمني المزمن

ومن يتفحص التحولات التي طرأت على خارطة القوة في اليمن منذ بداية الحرب وحتى اليوم، يجد أن تلك الحرب بدأت بسيطرة ميليشيا الحوثي على إمكانات الدولة وقدراتها وعلى الجيش اليمني لخوض حرب توسع امتدت إلى محافظات جنوب اليمن، في مواجهة مقاومة شعبية تشكلت بشكل تلقائي وتمكنت عبر دعم سخي من التحالف العربي في تحرير مناطق شاسعة وإعادة الحوثيين إلى مناطق الشمال التي لم يتمكن الحوثي من إكمال سيطرته عليها بشكل كامل نتيجة فشل اجتياحه لمحافظة مأرب النفطية وخسارته لاحقا مناطق شاسعة في محافظات الجوف وصنعاء (نهم) وصولا إلى الحديدة التي كان استكمال تحريرها سيضع الحوثي في منطقة معزولة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا.

ومع طول أمد الحرب برزت العديد من التعقيدات الجهوية والأيديولوجية والسياسية وطفت خلافات ما بعد التحرير بين الشركاء في جبهة مواجهة الانقلاب الحوثي إلى السطح، كما فاقمت مغادرة الدوحة التحالف العربي من حمّى التناقضات والصراعات داخل معسكر المناوئين للحوثي إما بفعل تحفيز البعد الأيديولوجي لدى بعض الأطراف السياسية أو شراء ولاءاتهم وكل تلك العوامل تضافرت مع بعضها لخلق فسيفساء جديدة في خارطة السياسة اليمنية نشاهدها اليوم بكل وضوح وهي تتهيأ للانقضاض على بعضها وتحشد كل إمكانياتها المتراكمة للسيطرة والتمكين والنفوذ وإلغاء الآخر.

وبعد أن كان العالم يراقب صراعا وحربا بين طرفين خلال سنوات الحرب الأولى، أصبحت معادلة القوة في المشهد اليمني اليوم أكثر تعقيدا، فإلى جانب الميليشيات الحوثية التي استطاعت بناء نمط جديد من القوة المدعومة من النظام الإيراني بهدف إلحاق الضرر بخصوم طهران عبر الطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية.

هناك قوى أخرى لم يعد بالإمكان تجاهلها، مثل المجلس الانتقالي الجنوبي الذي يمتلك ذراعا عسكرية طائلة توازي ذراعه السياسية في الجنوب، بينما استطاع الإخوان بناء قوتهم الخاصة تحت رداء "الشرعية"، وفي المقابل استطاع حزب المؤتمر الشعبي العام بشكل أو بآخر صنع ذراعه العسكرية أيضا عن طريق قوات المقاومة الوطنية التي يقودها نجل شقيق الرئيس الراحل علي عبدالله صالح في الساحل الغربي.

كما أن السلفيين الذين لا يجمعهم بكل أطراف الشرعية إلا تحفزهم لمواجهة الحوثي، باتت لديهم قوتهم الخاصة "العمالقة" التي تضم اليوم ألوية ضاربة من المقاتلين الشرسين الذين يخوضون قتالا ضاريا ضد الحوثي في أكثر من جبهة ودون أيّ أجندة سياسية.

وفي إزاء كل هذا التشظي الذي تخفيه خارطة اليمن الجيوسياسية، يرى البعض أن الآمال الدولية حول تحقيق سلام في اليمن لا تعدو عن كونها سرابا سياسيا يترافق مع حالة استعجال وتململ دولي وإقليمي لإغلاق الملف اليمني المزمن الذي يهدد أحد أهم طرق الملاحة الدولية ويعكر صفو أكثر مناطق العالم إنتاجا للطاقة، في الوقت الذي تشهد فيه السياسية الأميركية حالة مراجعات حادة في الملف الخارجي، كشفت عنها مواقف واشنطن اللينة تجاه التعنت الإيراني، وهروب واشنطن المفاجئ من المستنقع الأفغاني، والسعي لإغلاق كل الملفات الساخنة دفعة واحدة أو تركها تنزف وحيدة، وهو الأمر الذي قد يطال الملف اليمني قريبا مع تسرب حالة الإحباط الأميركي والأوروبي حول إيجاد حل سريع وسحري لملف شديد التعقيد مثل ملف الحرب اليمنية.

وربما تفصح التصريحات الأميركية الأخيرة حول الاعتراف بالحوثي كطرف في المعادلة اليمنية، وإرسال رسائل متناقضة للحوثيين ومن خلفهم طهران، وأخيرا اتخاذ قرار بعودة التعاون الأمني والعسكري مع قوات الحكومة اليمنية المعترف بها شرعيا، تفصح عن تراجع قائمة الأماني الدولية في اليمن من مستوى تحقيق سلام هش، إلى الاكتفاء بحماية مصالح العالم الملاحية في البحر الأحمر وتأمين مصادر الطاقة والتركيز على الجانب الأمني لمواجهة خطر القاعدة وداعش، وترك اليمن يغرق في جولات قادمة من الصراع بين أمراء حرب باتوا يتربّعون على عرش المشهد، على الطريقة الصومالية، حتى تفرز تلك الحرب رابحا واحدا أو رابحين قادرين على فرض شروطهما على الأرض.

الفشل السياسي الأميركي.. في أفغانستان والعراق

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لم يعد مستقبل أفغانستان معروفا بغض النظر عن التصريحات المتفائلة للرئيس جو بايدن. ستتمكن حركة "طالبان" عاجلا أم آجلا من وضع يدها على كلّ أفغانستان. ستكتفي في المستقبل المنظور بمحاصرة كابل في انتظار سقوطها على نحو تدريجي.

ثمّة عودة إلى ما قبل 11 أيلول – سبتمبر 2001 عندما نفّذ تنظيم "القاعدة" الذي كان زعيمه أسامة بن لادن يقيم في أفغانستان، بحماية "طالبان"، غزوتي نيويورك وواشنطن.

استطاعت القوات الأميركية، في ضوء رفض زعيم "طالبان"، وقتذاك، الملا عمر تسليم أسامة بن لادن إخراج "طالبان" من كابل ومناطق أفغانية أخرى. لكنّ تلك الحركة الظلاميّة التي اخترعتها، أو على الأصح ارتكبتها، الأجهزة الأمنيّة الباكستانيّة بقيت منتشرة في الأرياف. تزحف "طالبان" حاليا انطلاقا من الأرياف في اتجاه المدن الكبرى، بما في ذلك العاصمة. ليس أكيدا أن "طالبان" باتت تسيطر على ما يزيد على 85 في المئة من الأراضي الأفغانيّة. ما هو أكيد أن القسم الأكبر من أفغانستان صار تحت سلطتها.

في محاولة لرفع معنويات الجنود الأميركيين، يتحدّث بايدن عن انتصار في أفغانستان. نعم، حققت القوات الأميركيّة انتصارا عسكريا في أفغانستان. كان انتصارا مؤقتا. لكنها فشلت سياسيا. لم تستطع الولايات المتحدة إقامة نظام سياسي قابل للحياة بعد إخراج "طالبان" من كابل.

هناك مخاوف حقيقية من عودة أفغانستان مأوى للتنظيمات الإرهابيّة من نوع "القاعدة" وما شابهها، وهي حركات ولدت من رحم تنظيم الإخوان المسلمين الذي انتمى إليه أسامة بن لادن في شبابه قبل أن ينشئ تنظيما إرهابيًا خاصا به يتوافق مع تطوّر فكره الإرهابي. تفوّق أسامة بن لادن، عبر "القاعدة"، على كلّ التنظيمات الإرهابيّة الأخرى التي أنتجها العالم، بما في ذلك حركة "طالبان" نفسها التي مارست إرهابها على الأفغان وعلى المرأة الأفغانيّة على وجه التحديد.

أسئلة كثيرة ستطرح نفسها بعد إتمام الانسحاب الأميركي من أفغانستان. لا شكّ أن هذا الانسحاب سيترك فراغا. هل تستطيع حركة "طالبان" ملء هذا الفراغ أم ستتحوّل أفغانستان إلى أرض مفتوحة لصراعات ذات طابع إقليمي؟

هناك دول عدّة تتأثر بما يدور في أفغانستان. في مقدّم هذه الدول باكستان والهند وإيران وتركيا وروسيا والصين. لكل من هذه الدول حساباتها التي ستجعل الوضع الأفغاني أكثر تعقيدا في المستقبل، خصوصا في ظلّ كلام كثير عن تمكّن إيران من إيجاد تحالفات جديدة في الداخل الأفغاني... وعن طموحات تركيّة إلى دور على الأرض يشمل إرسال قوّات لتأمين مطار كابل.

ربّما قرّرت أميركا أن تكون أفغانستان "ساحة" تتنافس فيها هذه الدول بدل أن تكون همّا خاصا بها بعدما عجزت عن إقامة نظام بديل من نظام "طالبان". في النهاية، اتخذ جو بايدن قرارا شجاعا عندما قرّر الانسحاب عسكريا من أفغانستان بعد عشرين عاما على غزوتي نيويورك وواشنطن. يعرف الرئيس الأميركي أنّه لا يمكن لبلاده أن تربح الحرب الأفغانية وأن قرارا بالانسحاب العسكري سيتخذ في يوم من الأيّام. رفض ترك هذا القرار لغيره، خصوصا أن الوجود العسكري الأميركي بات مكلفا جدًا.

على هامش الانسحاب العسكري الأميركي من أفغانستان، لا يزال السؤال الأساسي يطرح نفسه: لماذا قرّرت إدارة جورج بوش الابن اجتياح العراق في وقت كانت الحرب في أفغانستان لا تزال دائرة؟

سيبقى هذا السؤال في الواجهة لسبب في غاية البساطة. يعود السبب إلى أن إدارة بوش الابن تذرّعت بغزوتي نيويورك وواشنطن لتبرير اجتياح العراق، علما أنّه لم يكن هناك أيّ رابط بين النظام العراقي من جهة وأسامة بن لادن و"القاعدة" من جهة أخرى.

> جو بايدن اتخذ قرارا شجاعا عندما قرّر الانسحاب من أفغانستان بعد عشرين عاما على غزوتي نيويورك وواشنطن. يعرف الرئيس الأميركي أنّه لا يمكن لبلاده أن تربح الحرب وأن قرارا بالانسحاب سيتخذ في يوم من الأيّام

تستطيع أميركا، بكل جبروتها خوض حربين كبيرتين دفعة واحدة. انتهى الأمر بتسليم العراق على صحن من فضّة إلى إيران التي كانت شريكا في الحرب من أجل إسقاط نظام صدّام حسين.

الفشل الأميركي في أفغانستان والعراق واحد. إنّه فشل سياسي. في أساس هذا الفشل العجز عن إقامة نظام جديد قابل للحياة في أيّ من البلدين، على الرغم من تحقيق انتصار عسكري في كليهما. تدفع إدارة بايدن حاليا ثمن هذا الفشل المزدوج الذي لا تبرير له سوى أنّ مسؤولين في إدارة بوش الابن دفعوا في اتجاه الحرب على العراق. لماذا فعلوا ذلك؟ هذا لغز وليس سؤالا.

كلّ ما هو معروف إلى الآن أن كبار المسؤولين الأميركيين التقوا في منتجع كامب ديفيد مباشرة بعد غزوتي نيويورك وواشنطن وعقدوا اجتماعا برئاسة بوش الابن. في هذا الاجتماع، طرح بول ولفويتز، نائب وزير الدفاع فكرة الردّ على ما قام به أسامة بن لادن وتنظيمه في العراق وليس في أفغانستان. ردّ عليه وزير الخارجية كولن باول، وقتذاك، مؤكّدا غياب أيّ رابط بين "القاعدة" من جهة والعراق ونظام صدّام حسين من جهة أخرى. انتهى الأمر عند هذا الحد. لكن الذي حصل بعد الاجتماع أن صحافيين سألوا ولفويتز لماذا طرح موضوع العراق؟ أجاب إنّه "زرع بذور" الحرب على العراق.

لماذا العراق، علما أن النظام فيه كان تحت الحصار وأنّ الولايات المتحدة استطاعت تحويل صدّام حسين إلى ما يشبه جثّة، من الناحية السياسية؟

ستمرّ سنوات قبل الوصول إلى معرفة خبايا هذا اللغز. في انتظار ذلك، ليس ما يشير إلى أن موضوع أفغانستان سيحلّ قريبا بـ"طالبان" ومن دون "طالبان". هناك معركة كبيرة بدأت. سيتوضح في نتيجتها من سيكون صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في بلد سيستحيل في كلّ وقت السيطرة عليه كلّه. الأمر الوحيد الأكيد أن "طالبان" ستجعل من المواطن الأفغاني إنسانا بائسا يعيش في ظلّ نظام لا قيمة فيه للإنسان وللمرأة تحديدا! الأمر الأكيد الآخر أن الولايات المتحدة لم تستطع البناء على انتصارين عسكريين في أفغانستان والعراق. فشلت في ذلك بسبب حسابات لم يتحدّد بعد من يقف وراءها. في أساس هذه الحسابات خلق عذر لاجتياح العراق وتغيير كلّ التوازنات في الشرق الأوسط والخليج. منذ اجتياح العراق وتسليمه إلى إيران، لا يزال الشرق الأوسط في حال مخاض يصعب التكهّن بما سيسفر عنه.